

اللغة الثالثة وسيلة لفهام بين البشر

أ.م.د. عدنان شبيب جاسم
رئيس قسم اللغة السريانية
كلية اللغات – جامعة بغداد

تعرف اللغة الثالثة على انها اللغة التي اتفق عليها انواع مختلفة من البشر واتخذوها وسيلة للفهام فيما بينهم كونها تلبى طموحاتهم وتغطي احتياجاتهم وتمثل طريقة وسطى للفهام فيما بينهم. اللغة الثالثة، هي لغة الأدب السمع، الأدب الذي يفهمه الناس جميعاً. هي لغة سكان القاع، الذين يشكلون القاعدة الاجتماعية الكبرى. وخير انموذج على اللغة الثالثة هي لغة نزار قباني تلك اللغة التي كتب بها اشعاره والتي دعا اليها في غير مناسبة وعدا اداة للحفاظ على العربية⁽¹⁾ اي انه دعا الى عربية تخطت حدود الاصول اللغوية الى لغة بسيطة واعتبر ان ذلك هو اهون الشرين واحسن الامرين فبدلاً من ضياع العربية وابدالها بالعامية، فقد قبل بلغة فصيحة بسيطة وهي التي تسمى اللغة الوسطى او اللغة الثالثة. نخلص مما تقدم ان اللغة الثالثة او اللغة الوسطى هي تلك اللغة التي لا تنترم بالقواعد الكلاسيكية وتخلو من البلاغة والاستعارة والمجاز وتنتهج لاستخدام ابسط التراكيب اللغوية لكي تكون مفهومة لاغلب الناس وعلى مختلف طبقاتهم.

ان تجارب الشعوب مع اللغة الثالثة غير قليلة ورغم ان اللغة تقسم الى طبقات بحسب الاستخدام الدلالي والبناء اللغوي والجملي للكلمات والتراكيب اللغوية، وهذه الطبقات هي كالاتي :

١. الطبقة الاولى تسمى اللغة الفصيحة وهي اللغة القياسية (standard language) وهي تلك اللغة التي تحوي في طياتها البلاغة والتراكيب اللغوية المعقدة بالنسبة للمحدثين.
٢. الطبقة الثانية هي اللغة الدارجة وهي تلك اللغة التي تكون بين الفصحى والعامية إذ انها تحوي اساسيات اللغة الفصحى ولكنها لا تلتزم بالقواعد الكلاسيكية ولها تصاريفها والتي تناسب المتحدثين بها .
٣. وتأتي اللهجة بالدرجة الثالثة من حيث الترتيب الطبقي للغة واللهجة، وهذه تختص بمناطق معينه لها تصريفها الخاص ولحنها الخاص من ناحية اللفظ والصوت.
٤. العامية وهي انسلاخ للغة الفصحى وهي لا تلتزم بالنسق البنائي للجملة ولا بالتراكيب اللغوية، وكذلك تحوي كلمات دخيلة تصرف مرة على اساس اللغة المنسلخة منها ومرة تبقى على تلك الكلمات الدخيلة على حالها دونما تغيير بالبناء او الاستخدام الدلالي للكلمة.
٥. وهناك الرطانة وهي تنشأ بين طبقة معينه من الناس وخاصة من ذوي المهن والتجمعات الخاصة وتكاد لا يفهم بعض كلماتها الا اولئك الذين يستخدمونها^(٢).
٦. يمكن ان تعد كل هذه الطبقات او اقسام اللغة هي في مجال اللغة الوسطى رغم انها لا تمتلك شروط اللغة الوسطى. فاللغة الوسطى او الوسيطة او اللغة الثالثة من شروطها ان تكون لغة فصيحة ولكنها سهلة ومفهومة ومباشرة وتخلو من البلاغيات، وتبتعد من المزوقات اللفظية واللغوية وتلتزم بنسق واحد في الجملة من ناحية ترتيب مفردات الجملة النموذجية.
٧. ان تجارب الشعوب مع اللغة الثالثة كثيرة وهي كلها محل بحث ودراسة ولكننا سنتطرق الى تجربتين من تجارب الشعوب على الرغم من تعددها، وهي تجربة اليهود مع لغة اليديش واللادينو وكذلك تجربة العرب مع اللغة العربية المعاصرة.

اللغة العربية المعاصرة (لغة الاعلام)

وهي لغة الفضائيات والاعلام العربي المعاصر، والتي نشأت نظرا لتفاوت المستوى الثقافي واللغوي بالنسبة للناطقين باللغة العربية خاصة في شعوب المغرب العربي. وبما ان اللغة هي وسيلة التواصل بين البشر، وهي تعتمد على الرموز والحركات في وصف الافعال وتتخذ اساليبها بلاغية وجمالية لوصف مشاعر البشر ازاء تلك الافعال والاحداث التي تمر عليهم، ولكن عندما تنحدر اللغة الى مستوى عامة الجمهور فانها تتجرد من بلاغتها واساليبها الراقية، ولذلك فقد تجردت اللغة العربية المعاصرة (لغة الاعلام) من بلاغتها واساليبها الراقية(٣). وقد قسمها الدكتور عبد الواحد وافي الى لهجات حسب استخدام البشر فهناك اللغة الفصحى التي تكون في الاعلام وهناك اللهجات واللهجات الخاصة التي تنشأ بين مجموعة من البشر وهي ما تعرف بالعامية. ان اللغة العربية المعاصرة (لغة الاعلام) هي بالحقيقة خطر يهدد كيان اللغة العربية الاصلية، وعلى الرغم من الدور الذي تؤديه الا انها خالية من جماليات اللغة العربية التي الفناها في الادب العربي الجاهلي والقرآن الكريم ولغة العصور ما بعد ظهور الاسلام. وفي دراسة للدكتور يوسف شوكت وهي اطروحة دكتوراه عن اللغة الوسيطة او اللغة العربية الوسطى بحث الدكتور شوكت اساليب اللغة العربية الاعلامية ومميزاتها وبين ان اللغة العربية الوسطى هي لغة تحوي كلمات تساهم الى حد ما في ائصال المعلومة او الخبر الى شتى الناطقين باللغة العربية على مختلف مشاربهم ومستوياتهم الثقافية والتعليمية(٤).

يصلح على اللغة الثالثة بانها لغة المتقنين العرب وهي لغة مفهومة من قبل جيل الشباب في جميع ارجاء البلدان العربية وقد اصبحت الاقرب الى الجماهير وفي بعض الاحيان تتخللها بعض الكلمات العامية مثل كلمة عصاة (عصا) كما انها لم تعد تهتم كثيرا بنهايات الكلمات العربية التي هي نهايات معربة بل ان اللغة

الوسطى بدأت تميل الى تسكين نهايات الكلمات والامثلة كثيرة في هذا الجانب. او الكلمات التي تعتبر كلمات دولية وعلى الرغم من وجود ما يقابلها في اللغة العربية الا ان اللغة الوسطى لا تهتم كثيرا في ان تستخدمها نفسها مثل كلمة (computer) (card) وغيرها^(٥).

ان تجربة العرب في مجال اللغة الوسطى ليس فيه من المعاناة الكبيرة برغم خطورة الموقف والخشية من حلول اللغة الوسطى محل اللغة العربية الاصلية وهي نوع من التجارب التي اقتصرت على الاعلام والفضائيات فقط غير ان هناك من يعد اللغة التي استخدمها الشاعر العربي نزار قباني انموذجا صريحا عن اللغة الثالثة او الوسيطة وهي برغم ذلك لم تبتعد كثيرا عن اللغة الاصلية. بل سهلت دراسة اللغة العربية بالنسبة للدارسين من غير الناطقين. فالطالبة في الجامعات الاجنبية يميلون لدراسة النصوص المعاصرة وهي اسهل عليهم من النصوص القديمة او تلك التي تحوي اساليب بلاغية ولغوية وتراكيب معقدة. اذن العربية الوسطى هي لغة التفاهم والتواصل بين البشر في العالم العربي. على الرغم من وجود العاميات العربية التي كتب بها ادبا نثرا وشعرا ينتشر انتشارا واسعا بين الشعوب العربية وله خصوصية في كل بلد حيث تجد متذوقين لذلك الادب العامي او الشعبي وكذلك وجود اللهجات العربية التي لها خصوصية من ناحية النطق وبعض القواعد والتصاريف. ولكن تبقى اللغة العربية البسيطة او المبسطة هي خير مثال على اللغة الثالثة او اللغة الوسطى. وهناك تجارب اكثر من تجربة العرب في هذا المجال فمثلا في داغستان نجد ان الشعب الداغستاني يتكلم باكثر من سبع وثلاثين لغة مما سبب الكثير من الجدل بين القبائل الفئات الشعبية في داغستان واخيرا اتفقوا على ان تكون اللغة الروسية هي اللغة الرسمية ووسيلة التفاهم بين جميع المكونات في ذلك البلد وهنا السؤال: هل يمكن ان نعتبر اللغة الروسية في داغستان على انها اللغة الثالثة او اللغة الوسطى؟ الجواب لا لانها لا تحوي من مجموعة اللغات الداغستانية -ان جاز لنا القول- شيئا لا من ناحية الكلمات ولا من

ناحية القواعد. ولكنها مثلت على اية حال عاملا مشتركا ووسطا بين فئات الشعب المختلفة. وهناك ايضا تجربة الشعب الجورجي حيث توجد في جورجيا اكثر من اربع لغات مستقلة عن بعضها البعض مثل الجورجية والسوانيتية والسومخيتية والمغرية والابخازية والاوزيتية بينما نجد ان اللغة الوحيدة المكتوبة من بينها هي اللغة الجورجية. وقد اتفق عامة الشعب الجورجي باعتبار اللغة الجورجية هي اللغة الرسمية. والسؤال هنا هل يمكن اعتبار اللغة الجورجية بانها اللغة الوسطى للشعب الجورجي او انها اللغة الثالثة؟ والجواب لا يمكن ذلك لانها لم تاخذ من اللغات الاخرى شيئا. وهناك تجارب اتخذت شكلا آخر وهو انتاج لغة جديدة وخير مثال على ذلك لغة اليديش عند اليهود، إذ دعت الحاجة اليهود الى انتاج لغة تطورت وترسخت شيئا فشيئا وعلى الرغم من ان اليهود لا يعدونها لغة وانما رطانة، الا انها وصلت الى مستوى اللغة حيث كتب بها ادب شعرا ونثرا، وكانت وسيلة التفاهم بين اليهود التي لازالت مستعملة الى يومنا هذا. واليديش هي نتاج من العبرية والالمانية وبعض الكلمات السلافية والارامية. فهل تعتبر اليديش بانها لغة وسطى او لغة تالفة؟ الجواب نعم يمكن ان تعتبر كذلك لانها اخذت من العبرية الشيء الكثير واخذت من الالمانية اكثر. ولكنها مثلت وسيلة للتفاهم بين اليهود في وقت غابت العبرية عن دورها كلغة تفاهم، ولم يحسن اليهود لغة البلدان التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها على الاقل في بادئ الامر عند انتشارهم في اوربا وسكنهم في المدن المسورة (الجيتو). ولكن في ما بعد ارادوا ان يكون لهم لغة خاصة بهم تكون بعيدة عن فهم الشعوب الاخرى. ولذلك سنسلط الضوء على اليديش باعتبارها اللغة الوسطى لليهود.

اليديش

تبدأ قصة لغة اليديش او الايديش او اليديت مع افول اللغة العبرية بعد العصر الذهبي للغة العبرية في العصور الوسطى في الاندلس. وهناك في الحقيقة اكثر من

تجربة لليهود مع اللغة الوسيطة فهناك لغة المشنا التي جاءت بعد لغة العهد القديم والتي تطورت كثيرا ولكنها في نفس الوقت فقدت كثيرا من بلاغيات اللغة العبرية المقرائية (لغة العهد القديم). حيث دعت الحاجة الى تطور اللغة العبرية فأخذت تستحدث الكلمات والتراكيب اللغوية وتعبرن كلمات من اللغة الارامية وتطور اساليبا لغوية وقواعدية ومن ثم جاءت المرحلة الثانية وهي لغة العصر الوسيط التي اخذت من العربية اساليبها الجمالية والبديعية وصورها البلاغية مما اثر ذلك في الادب العبري. ولكن الحدث المهم هو انتاج لغة اليديش. ولغة اليديش او الايديش تعني اللغة اليهودية او لغة اليهود وهي لغة خليط من اللغة العبرية والالمانية في العصور الوسطى وتحوي كذلك كلمات من اللغات السلافية والارامية واستخدمت الخط العبري المربع في كتابة اللغة.

بعد سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس انتشر اليهود بشكل كبير في اوربا حيث هجروا من اسبانيا بناء على طلب الملك الفونسو ومن هناك قررت الحكومات الاوربية في ذلك الوقت ان يسكن اليهود في مدن مسورة تسمى (الجيتو) ومع مرور الوقت بدأت العبرية تختفي وظهرت بدلا منها اليديش لدى اليهود الاشكناز (الغربيين) واللادينو بين اوساط اليهود السفارديم (الشرقيين) واصبحت وسيلة التفاهم بين اليهود حيث وجدوا فيها ما يلبي حاجاتهم اليومية ويعبر عن رغباتهم ومشاعرهم ولم تاخذ اللادينو حيزا كبيرا فقد كان نطاقها محدودا ولكن الحيز الاكبر والاستخدام الامثل كان مع اليديش^(١).

انتشرت اليديش بين اوساط اليهود في اوربا واصبحت لغة الحديث اليومي ولغة التفاهم ولم تعد العبرية تذكر الا في الصلوات وحتى اولئك المصلين لم يكونوا يفهمون ما يرددون في الصوات وعلى الرغم من المحاولات الخجولة والمحدودة التي تعتبر محاولات فردية قام بها بعض الشعراء ورجال الدين اليهود ابرزهم عمانوئيل هارومي وموشيه مناحيم لوزاتو في ايطاليا، الا ان العبرية بقيت حبيسة الكتب الدينية والمخطوطات وعند رجال الدين. وفي القرن التاسع عشر تزامن مع

احياء اللغة العبرية والادب العبري، بروز اليديش كلغة ادب حيث اسس مندلي موخير سفاريم وشالوم عليخم في روسيا الادب اليديشي، وحذا حذوهم كثير من الابداء اليهود. وظهرت الدوريات ودور النشر التي نشرت باللغة اليديشية وعلى الرغم من النقد اللاذع الذي وجهه بعض النقاد والابداء اليهود الذين دعوا الى ترك اليديش ومنح الدور للغة العبرية فقط دون سواها الا ان دعواتهم ذهبت ادراج الرياح ولم يبال بذلك النقد وتلك الحرب التي اشعلتها الهسكلاه (حركة التنوير) على اليديش بل على العكس من ذلك حيث راح كثير من المسكليم (المتنورون) يكتبون باليديش^(٧).

لقد عانى اليهود من مسالة اليديش وقد ناضلوا من اجل زعزعة مكانتها واعطاء الدور الاكبر والامثل للغة العبرية التي احيوها وكتبوا بها ادبا حديثا. ولان العبرية الحديثة لم تكن تلبي حاجات اليهود فقد عملوا على تطويرها من الناحية النحوية والاسلوبية ومخزون الكلمات. فبعد ان ادرك اليهود ان اللغة العبرية لا يمكن ان تستمر كلغة عصرية تلبي احتياجات البشر حيث انها تعاني النقص الكبير في مخزون كلماتها بدأوا يشتقون الكلمات من الجذور العبرية مثل (سفرياه) (ספריה) بمعنى مكتبة من الجذر (سافر) (ספר) وكذلك اتخذت منهج الاستعارة من اللغات الاوربية والعربية فيما بعد، مثل كلمة (פסימיות) بسميوت (pessimism) تشاؤمية وكذلك كلمة (אופטימיות) اوبتيميوت (optimism) تفاؤلية ومن العربية استعارت (אנתיפאדה) انتفاضة و(ג'אדה) جهاد وغيرها من الكلمات الكثيرة التي بدأت تغزوا العبرية الحديثة^(٨). اذا يمكن ان نعتبر لغة اليديش لغة ثالثة متفق عليها بين اليهود ولو انها نتاج من لغتين رئيسيتين مختلفتين بالاشتراك مع لغات اخرى ولكنها مثلت حالة ولعبت دورا كوسيلة للتفاهم بين البشر.

الاستنتاجات

١. تعتبر اللغة الثالثة وسيلة مهمة للتفاهم بين البشر دعت الحاجة الى ظهورها او انها ظهرت بسبب ظروف معينة اهمها الجهل وبساطة التعليم وانتشار اللهجات التي طغت على الفصحى وبدأت تحل محلها والتي ربما ستصبح في يوم من الايام لغات مستقلة لها حالاتها القواعدية واللغوية وادبها الخاص.
٢. تعتبر العربية المعاصرة (لغة الاعلام والفضائيات) خير مثال عن اللغة الوسطى او اللغة الثالثة لانها تجردت من بلاغتها ومفاهيمها واساليبها الصعبة المعقدة وراحت تحاكي ذوق الشعوب ومستوى تعليمهم وحجم الجهل وتمسكهم بلهجاتهم وتفضيلهم الحديث بالعامية على الفصحى ولذلك يمكن ان نسمي ذلك رضوخ اللغة العربية للعامية واللهجات ومستوى المتحدثين بها.
٣. تعتبر اليديش مثال مختلف عن العربية المعاصرة لانها كانت عامية او رطانة ولكنها تطورت الى ان وصلت الى مستوى اللغة حيث وضعت لها القواعد والمعاجم وكتب بها ادب واصبحت وسيلة للتفاهم بين البشر (اليهود) وعلى الرغم من مجابهة علماء اللغة العبرية لليديش الا انها استمرت ووجدت لها مساحة كبير بين اوساط اليهود.
٤. اللغة الثالثة هي وسيلة للتفاهم بين البشر سواء كانوا من جنس واحد او من اجناس مختلفة. وعلى الرغم من انها تعتبر وسيلة للتفاهم بين مجاميع مختلفة من البشر وهي تؤدي دورا مهما في اصال المعلومات والرؤى ولكنها تعتبر خطرا كبيرا على اللغة الام او اللغة الفصحى الاصيلية التي تحوي في طياتها البلاغة والاساليب اللغوية الاصيلية. وهناك شرط مهم في اللغة الثالثة او الوسطى وهي ان تكون من نفس اللغة الفصحى او اللغة الاصيلية اما اذا اختلفت من ناحية المصدر فلا يمكن اعتبارها لغة وسطى او لغة ثالثة.

ملخص البحث

تعتبر اللغة الثالثة او اللغة الوسيطة وسيلة للتفاهم بين البشر وتنقسم اللغة الى طبقات، وقد تتحدد تلك الطبقات بحسب قرب او بعد تلك الطبقة من اللغة الفصحى مثل اللغة الدارجة واللهجة واللغة الدارجة والعامية والرطانة. وكل واحدة من هذه الطبقات يمكن ان نعتبرها لغة وسيطة للتفاهم ولكن بالحقيقة لا تنطبق عليها مواصفات وشروط اللغة الوسطى او اللغة الثالثة. فمن شروط اللغة الوسطى ان تكون وسيلة للتفاهم بين طبقات البشر المختلفة، وان تكون محل اتفاق بين مستويات مختلفة بين البشر. ان تجربة اللغة العربية المعاصرة (لغة الاعلام) هي خير دليل على اللغة الثالثة. اذ انها حافظت على الفصاحة الى حد ما ولكنها تخلت عن الاساليب البلاغية والتراكيب اللغوية المعقدة وتقبلت الدخيل واعتبرته وسيلة لدعم التفاهم وايصال المعلومه بشكل مختصر ومن دون تكلف. ان ما يدعم التوجه الى اللغة الوسيطة هو المستوى المتدني للمتعلمين وانخفاض المستوى الثقافي للمتلقين حيث وجد ان هناك تفاوت كبير بين الناطقين بالعربية من المشرق العربي الى المغرب العربي. وهناك تجارب للشعوب مع اللغة الثالثة مثل تجربة اليهود مع اليديش التي يمكن ان تعتبر وسيلة للتفاهم بين اليهود على اختلاف مشاربهم وتنوع مستوياتهم الفكرية والثقافية. اليديش هي لغة اليهود في اوربا في القرون الوسطى ابتداء من القرن الحادي عشر الى يومنا هذا. واليديش هي خليط من العبرية والالمانية والكلمات السلافية والارامية وقد اجبرت الظروف التي عاشها اليهود في اوربا من انتاج لغة اليديش، وجعلها لغة الحديث اليومي والتفاهم بينهم حتى تطورت شيئا فشيئا وراحت تلعب دور اللغة وهي في واقع الامر رطانة او لغة عامية. وجدير بالذكر ان ما عزز موقف اليديش ودعمه هو ظهور الادب اليديشي على يد عدد من الادباء اليهود في القرن التاسع عشر وكذلك ظهور الدوريات والمنشورات التي نشرت باليديش آنذاك. وعلى الرغم من محاولات اليهود من

احياء اللغة العبرية وقد عملوا جهدهم من اجل احياء اللغة العبرية بدءا من مشروع (البيئور) لموشي مندلسون وانتهاء بدور اليعيزر بن يهودا الذي اقسم ان لا يتحدث بغير العبرية. كل هذه الجهود لم تستطع ان تقضي على اليديش او ان تحد منها حيث طغت اليديش واصبحت كابوسا يؤرق اليهود المتنورين المتقفين الذين اخذوا على عاتقهم تثقيف المجتمع اليهودي وتعليمه بالطرق الحديثة. ولكن اليديش كانت هي لغة الحديث في ذلك الوقت وقد اصبحت عائقا امام احياء اللغة العبرية كلغة حديث ولغة ادب.

وفي ضوء ما تقدم يمكن ان نعتبر اللغة الثالثة خطرا يهدد كيان اللغة الفصحى على الرغم من الدور الذي تؤديه كوسيلة تفاهم بين البشر.

الهوامش والمصادر

- ١- محمد رضي الشماسي، مجلة الواحة ٢١ / ٥ / ٢٠٠٨ م - ١٨ :٦ م - العدد (٤٩) <http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=377>
- ٢- بروفيسور دكتور منانا غوتسريدزه، سلسلة محاضرات على طلبة الدكتوراه في معهد اسيا وافريقيا/ تبليسي حول علم اللغة. معهد اسيا وافريقيا في تبليسي / جورجيا ٢٠٠٧
- ٣- شمس الجميل يوب، مصطلح "نمط اللغة" واهميته في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، مجلة الاثر العدد ١٥ الجامعة الاسلامية في ماليزيا ٢٠٠٤ ص ٤٤.
- ٤- المصدر السابق ص ٥٥. انظر:
- شوكت يوسف، اللغة العربية الوسطى اطروحة دكتوراه تبليسي ٢٠٠٦ محاضرات مستلة من الاطروحة.
- ٥- <http://majles.alukah.net/showthread.php>
- ٦- علي، فؤاد حسنين، من الادب العبري، مجموعة محاضرات، مطبعة الرسالة، (مصر ١٩٦٣) ص ٥٣.
- ٧- جاسم، عدنان شبيب، انعكاسات الهسكالاه لدى رواد الادب العبري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٩٦ ص ٤٣.
- ٨- حومسكي، زاڤ، הלשון העברית בדרכי התפתחותה، הוצאת "ראובן מס" (ירושלים 1972) עמ' 210